## الفائدة الثانية عشر:

## الأذكـــــار

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يصطفي ما يشاء، وقد «**اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ** - من الكلام -: **سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(١).

وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**»(٢).

ولو تأملنا حالنا مع هاتين الكلمتين لرأينا تقصيرًا عظيمًا، أحسنُا حالًا من يأتي بأذكار الصباح والمساء. مع ما فيهما من الفضل، «**حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ**»، مع خفة الإتيان بهما إذ لا مشقة تلحق القائل بهما، ولا تبعه مالية، ولا بدنية؛ فينبغي للمسلم أن يحرص على الأجور، وعلى تحصيلها.

وفي معنى ذلك حديث أبي سُلمى عند أحمد(٣): قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ**».

«**ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ**»؛ ميزان لا يفوته مثاقيل الذر، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَنَضَعُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) برقم (١٥٦٦٢).

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧].

وقد قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ كما في سورة يقرأها الجميع، ويحفظها أكثر المسلمين: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٧-٨].

كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة:٦-١١].

فالبسهولة بمكان أن تثقل ميزانك بهذه الكلمات، ففي حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»(١).

وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو حسن بشواهده، أن النبي ﷺ رأى أبا أمامة كثير الذكر، وهذا دأب الصحابة أنهم كانوا كثيري الذكر، والطاعة لله عَزَّوَجَلَّ، ويُشبَّهُ بهم في هذا الزمان الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وربما ذكر الله بين لُقَمه، وربما ذكر الله عند إجابته على الأسئلة، يقرأ السائل السؤال وهو يسبح، ويستغفر، ويهلل.

فالشاهد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٩٢١).

وأصح منه حديث جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ - الله أكبر، نسائهم، ورجالهم، وشبابهم، وشاباتهم كلهم كانوا على خير، ونحن الآن جزى الله من يصلي الفجر خير الجزاء رجالًا أو نساء، أما أنْ تَرى من يحافظ على الذكر، ويزداد في الطاعة فهذا أمر زائد - فوجدها على الحال، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(١).

وفي حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٢).

بل جاء في خارج الصحيح «**وَتُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٣).

ونختم بحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أحمد في «مسنده»(٤) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَصْلَتَانِ - أَوْ خَلَّتَانِ - لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، تُسَبِّحُ اللَّهَ عَشْرًا، وَتَحْمَدُ اللَّهَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُ اللَّهَ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ - قَالَ: وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهُنَّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٨).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٩٠٥)، وأحمد (١٤٩٦) ولفظه «**وَتُمْحَى عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ**»، وغيرهم.

(٤) برقم (٦٩١٠).

بِيَدِهِ - فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ» - الصلوات خمسٌ: الفجر، الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، لو سبح دبر كل صلاة عشر تسبيحات، وحمد عشر تحميدات، وكبر عشر تكبيرات، صار المجموع في كل صلاة ثلاثين، ومجموع الصلوات الخمس مائه وخمسون - قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ - عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيَّتُهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ - إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُومُ وَلَا يَقُولُهَا، فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا».

فاحرص يا عبد الله أن لا تُحرم الخير بسبب الغفلة، والبعد عن ترويض اللسان على الذكر، ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الترمذي[1]: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»، فالإنسان يرطب لسانه بالذكر حتى إذا قُدِّر عليه بشيء يكون متعودًا على الذكر.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في قصة الذي قيل له: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابٍ؟، قَالَ: وَهَذَا الْكَلَامُ لَهُ قِصَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ وَاقِفًا بِإِزَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ بَابُهَا يُشْبِهُ بَابَ هَذَا الْحَمَّامِ، فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَةٌ لَهَا مَنْظَرٌ، فَقَالَتْ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابٍ؟ فَقَالَ: هَذَا حَمَّامُ مِنْجَابٍ، فَدَخَلَتِ الدَّارَ

(١) برقم (٣٣٧٥).

وَدَخَلَ وَرَاءَهَا، فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا فِي دَارِهِ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ خَدَعَهَا، أَظْهَرَتْ لَهُ الْبُشْرَى وَالْفَرَحَ بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ عَيْشُنَا وَتَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا، فَقَالَ لَهَا: السَّاعَةَ آتِيكِ بِكُلِّ مَا تُرِيدِينَ وَتَشْتَهِينَ، وَخَرَجَ وَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ وَلَمْ يُغْلِقْهَا، فَأَخَذَ مَا يَصْلُحُ وَرَجَعَ، فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ، وَلَمْ تَخُنْهُ فِي شَيْءٍ، فَهَامَ الرَّجُلُ وَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا، وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الطُّرُقِ وَالْأَزِقَّةِ وَيَقُولُ:

**يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ ❁❁❁ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ؟**

فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا يَقُولُ ذَلِكَ، إِذَا بِجَارِيَتِهِ أَجَابَتْهُ مِنْ طَاقٍ:

**هَلَّا جَعَلْتَ سَرِيعًا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا ❁❁❁ حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ**

فَازْدَادَ هَيَمَانُهُ وَاشْتَدَّ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ هَذَا الْبَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا[1]. اهـ.

فأنت يا مسلم روض لسانك على الذكر؛ التسبح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، تقولها في سيارتك، في طريقك، تقوله المرأة وهي تطبخ، وهي تعجن، وهي تغسل. والله المستعان.

(١) «الداء والدواء» (٩١).